

٤ - رسالة المربي

ضرورة التقيد بطريقة معينة - طريقة المشروع - مزايا المشروع

للأستاذ كمال السيد درويش

إن عملية النمو في التعليم هدف يستحق أن نعمل من أجل الوصول إليه ، ولكن كيف يمكن أن نخرجه إلى حيز التنفيذ . ما أكثر الأسس الفلسفية التي يضعها الكثير من كبار المصلحين والفلاسفة لعلاج المشاكل المقددة ، حتى إذا جاءوا إلى صغيرة التنفيذ تحطمت جهودهم عندها ، وتبخرت آمالهم لديها وعادوا بالحسرة والحسرة البين . ومن أجل ذلك نرى أن نكتفى بتحديد رسالة المربي دون أن نتقيد بمذاهب أو طريقة عملية معينة لتنفيذها . بل إن عملية التعليم كعملية نمو حر متواصل تدعو هي نفسها إلى عدم التقيد بطريقة عملية معينة . ذلك لأنها طريقة عملية تجريبية . وأساسها الفلسفي يحض على عدم التقيد بأسلوب معين في التنفيذ ، فما يكون صالحا اليوم قد يصبح غير صالح في الغد ، والطريقة التي تستعمل في المدنية ، غير التي تستعمل لتعليم أبناء القرية ، وهم يملكون إشارات المرور وكيفية عبور الشوارع كأول درس يتعلمه الطفل في أمريكا ، بينما لا تزال نحن حتى الآن نتقيد بمناهج زرع وحصد

التقيد بمذاهب أو طريقة عملية معينة يتناقض مع طبيعة عملية التعلم الصحيحة ، إذ قد تصبح هذه الطريقة بينها ديكتاتورا يتحكم في المعلم والتلميذ ، وحجر عثرة في استمرار عملية النمو . ولذلك يمكن القول أن التقيد بطريقة معينة هو علة فساد الكثير من النظم التعليمية ، فإذا كان ولا بد من طريقة عملية للتعليم ، فلنتمكن الطريقة التي ترضى إلى تحقيق فكرة عدم التقيد نفسها تحقيقا عمليا . وأقرب هذه الطرق إلى تحقيق المعنى الذي

حددناه هي طريقة المشروع ، ولذلك سنقتاولها بوجه عام ما هي طريقة المشروع ؟ هي طريقة وضعها وأسسها أحد فلاسفة التربية بأمريكا ، ومن بينها مصر

ومتى يبدأ المشروع ؟ يبدأ كما تبدأ عملية التعلم لدى الأسرة وكما بدأت لدى الإنسان الأول . مشكلة نتمرض حياة التعلم ؛ مشكلة حقيقية قد اعترضته هو فلا تدفعه إلى محاولة التغلب عليها . بشر الإنسان إذا اعترضته المشكلة بمحاجته الشديدة إلى من يعلمه كيفية التغلب عليها . يسأل أولا ما هذا أو ذاك ، وعند ذلك يبدأ دور المربي ، وهو دور الرفيق الذي يواجه بما له من خبرة ؛ ويساعد ويمسح حتى يتغلب الإنسان على مشكلته ، وينتهي عند ذلك المشروع بنجاح التعلم في حل مشكلته ، ولكن المشروع الأول الذي كان غرضا في حد ذاته سرعان ما يصبح وسيلة إلى فرض جديد هو مشروع آخر حديث ، وسنضرب لذلك مثلا : « أراد طالب أن يكتب خطابا ردا على خطاب جاء إليه ، ولم يكن هذا الطالب قد سبق أن كتب خطابا قط ، ولذلك لجأ إلى مدرسه يستفتيه . ولولا حننا موقف الطالب في هذه الحال لوجدناه موقف السيقظ المهتم بكل ما يقوله مدرسه . هذا هو الدرس الحقيقي الذي سيتعلمه . فلا في كيفية كتابة الخطابات . درس ثابت لن ينسى لأنه سيحتل معلوماته في الحال في كتابة الخطابات ، بل وسيتوسع في استخدام هذه القدرة الجديدة التي اكتسبها فيكتب إلى آخرين ، ويرسل زملاءه في إنجلترا أو الباكستان ، وهم جرا . .

ولكن هنا المثل السابق في الحقيقة لا يمثل مشكلة بالمعنى الحقيقي للمشكلة ، كما تفهمه طريقة المشروع ، ذلك لأن كتابة خطاب ليست ذات أهمية حيوية قصوى بالنسبة للتلميذ ، وإنما هي صعوبة عارضة ، وإنما تكون المشكلة مشكلة حقا كما كانت تمس أمرا حيويا بالنسبة للإنسان ، فدودة القطن بالنسبة للفلاح المصري ، بل والدولة ، كلها مشكلة خطيرة ، وهي التي تثير بمجرد ظهورها مختلف الجهود للقضاء عليها ، وظهور الملاوي أو

السلوك الفردي من حيوية وتغير وتلقائية واستمرار . حق يتحقق الفرض . وبذلك ضمنت نمو التعلم واستمرار انتباهه التلقائي ، وهو ما لا نجد مطلقا في الطريقة المنطقية التي ينأى التعلم فيها عن التلميح ولا يقبل عليه إلا مضطرا وتحت ضغط ظروف خارجية . والمشكلة إذا اعترضت الظاهر التزوي لشعور الإنسان حفزته ، ولذلك فلاحظ كيف يكون نزوع المتعلمين نحو التعلم في طريقة الشروع قويا وواضحا ومرغوبا فيه . وبلاحظ أن طريقة الشروع تكسب المادة التي يتعلمها التلميذ قيمة وحيوية لأهميتها بالنسبة إليه ، بينما لا تكتسب المادة أى معنى في الطريقة المنطقية . ويتلقى التلميذ في طريقة الشروع المعلومات كوحدة كلية غير مجزأة ؛ يتعلم المعلومات كما هي في الحقيقة وفي الحياة . وبذلك تنفاد أكبر عيوب الطرق المنطقية التي قسمت المعلومات إلى علوم من تاريخ إلى كيمياء الخ . . فأصبح الطالب بسبب ذلك عاجزا عن الربط بين ما يتعلمه سواء في المادة الواحدة أو بينها وبين غيرها من المواد

وتتناول طريقة الشروع عيوب التعلم الحالية فننقد الطالب من تحكم النماذج وكثرة المواد ونحكم المدرسين ومن شبح الامتحان وما يتبعه من رسوب وفشل كفيل بقتل روح البحث الملى في التلميذ ، وهي تضمن نمو التعلم باستمرار ونمو المعلم أيضا

إن طريقة الشروع أكبر حدث تربوي خطير ظهر في العصر الحالي . وواجبنا نحن المصريين بوجه خاص والشرقيين بوجه عام التخلص من الطريقة القديمة المنطقية التقليدية التي نسير عليها ، وأن ننقد أبنائنا ومجتمعنا وأوطاننا بأن نؤدى لها أكبر الخدمات وأجلها حين ندخل في التربية طريقة الشروع أو ما يشبهها وينبئ على أسسها ؛ فبذلك وحده يظهر جيل حر في تفكيره ، عمل في حياته ؛ جيل ينمو باستمرار ويتمشى مع ركب الحياة . جيل يخلق رداء الجلود ويتحرر مما يوقه من قيود . ويمثل هذا الجيل يقسى لنا مسيرة الزمن ومناقشة التربين ؛ كيف لا وقد أعدته رسالة الربى كما يجب أن تكون

كالمسيد ورويسى

انتشار السكوليرا ، أو هجوم الجراد ، كلها مشكلات خطيرة يمكن أن نعتبر سلوك المجتمع في التغلب عليها مشروعا من المشروعات التي توصى بها طريقة الشروع . ولذلك لا نعتبر طريقة الشروع بتعلمنا الحالي ، ولا بنظمنا المدرسية المنطقية . لا نعتبر بالنماذج ولا الحصص ، ولا بالفصل أو الجرس ، ولا بالانتقال من سنة إلى أخرى ، أى لا نعتبر بالامتحان . ذلك لأنها طريقة تتمشى مع الميول النفسية للطفل ، وتندرج معه وتنمو وتنمو . يسأل فتجيبه ، ويتعلم فتساعده وتعينه . . . يتم ذلك كله أثناء سير الشروعات التي يقوم بها والتي يأخذ بعضها برقاب بعض . ولكي يكون الشروع مشروعا بمعنى الكلمة يجب أن يلاحظ في تطبيقه ما يأتى : -

١ - أن تكون المشكلة من وحى الطالب أو الطلاب ، وأن يتم تحديدها على أيدىهم ، ومن وحى شعورهم
٢ - أن يظل موقف التعلم خلاله تلقائيا

٣ - أن يستمر ما دامت المشكلة مستمعية على الحل أى أن الدة التي يستغرقها الشروع يجب أن لا تحدد إلا بانتهاء الشروع نفسه

٤ - أن يظل الهدف الأساسى من الشروع واضحا أمام التلميذ ، ولا يتيسر ذلك إلا بالمحافظة على سر الشروع من كثرة التشعب الذى قد يؤدى إلى نشيبت الجهود وتلاشى الفرض الرئيسى منه

٥ - أن يعتمد في سيره على التجارب العملية التي ستتمدد وتنوع بحسب ما يتطلبه الشروع نفسه ، وأن تتجه كلها في النهاية نحو تحقيق الهدف الأخير

٦ - أن يصبح الهدف بمجرد الوصول إليه وسيلة فمالة بدوره في تحقيق أغراض أخرى وفي إثارة مشا كل جديدة بحيث يضمن استمرار العمل واستمرار النمو

وتمتاز طريقة الشروع بمزايا عديدة أخرى . فاهتماما على المشكلة جعل سلوك المتعلمين نحوها . سلوكا فرديا له كل مظاهر